



مكتبة ديوان العرب تقدم لكم

## حدائق العاشق

1996

محمد الأسعد

أنا ناجٍ من قبيلةٍ مفقودة

أنا ناجٍ من قبيلةٍ مفقودة ، الناجي الوحيدُ ربما ، لأن لغتي لم يعد يفهمها أحد ، وحقيقتي ممثلةٌ بأشياء لم يعد يتذكرها أحد ، ولأنني ، وهو الأكثر أهميةً ، أنادمُ أناساً وهميين من عصورٍ غابرة ، أدعوهم إلى مائدتي ، أو يدعونني إلى منازلهم ، وما أن ترتفع شمسُ النهارِ حتى تختفي الموائد والمنازل ، ولا تظهر علامةٌ تقودني إليهم أو تقودهم إلي .

أنتظر الليلَ لأتخذ طريقني إلى هذا البئر الذي تسكنه رائحةُ البحر وتغني فيه امرأةٌ آسيوية لصوتها رنينٌ ولعينها نشوةٌ غابةٌ تحت

أنتظرُ الليلَ لأرى عابرين يلصقون وجوههم بزجاجِ نوافذه ، ويتركون  
وسماً من ضبابٍ قبل أن يغيبوا ، لأرى رجالاً ونساءً قلقين يتوافدون  
في منتصفِ الليلِ كان سفينةَ أشباحٍ تركتهم على الشاطئ فجأة  
، فانسربوا في أي مكانٍ يلمحون فيه نافذةً مضاءةً ، أو يسمعون فيه  
نغمةً ماندولين متوحد ، أو يرتفع فيه غناءٌ عن الأيام الخالية .

## أصيب جسدُ الفنزويلية باليأس

أصيب جسدُ الفنزويلية باليأسِ ، فاختارتُ هذه الحانةَ المنزوية في  
شارعِ الصفصافِ لاصطيادِ العابرين ، وتعليقِ أرواحهم في زجاجاتِ  
أرجوانيةٍ لامعةٍ تصطفُ وراءها على الجدارِ ، فكانوا يأتون بأرواحِ  
كاملةٍ تصرخُ في أرجائها النوارسُ البحرية ، ثم يغادرون أشباحاً بلا  
ذاكرةٍ تحملُ القواقعَ البحرية ، ومشهدَ النافذةِ والسفينةِ التي  
ربانها الريحُ والرذاذُ .

حين عدتُ ونظرتُ إلى روعي المعلقةِ هناك على جدارِ بابِ الله  
الخالي ، كان الضحى في آخره ، والنسماتُ العابرةُ تعبثُ بستارةٍ  
من خيوطِ خرزٍ مدلاةٍ على البابِ ، فتصدرُ وسوسةً وهي تحتكُ  
بعضها .

الروحُ لا تُرى ، إلا أن الخدوشَ على سطحِ الزجاجِ الأرجوانيةِ  
ترسيمُ تعرجاتها ، وتمنحها شكلها اللامرئي ، وتمسكُ بها في هذا  
الحيزِ الضئيلِ ، حيزٍ يذكرُ بكل شيءٍ : بالبحارِ العميقةِ والأوديةِ  
النائيةِ ، والسمواتِ والكنائسِ المهجورةِ والمساجدِ المندثرةِ  
والمدنِ ، المدنِ التي يهبطُ الثلجُ خفيفاً على تماثيلها الحجرية ،  
وساحاتها الخالية وطرقاتها المتشققة ، هناك حيث تنمو في الصدوعِ  
الأعشابُ وتتكاثرُ أزهارُ الدانديون الصفراءُ اللامعةُ تحت شمسِ  
الظهيرةِ .

## استيقظت امرأة<sup>١٨</sup> رقدت في خزانة الجوز

استيقظت امرأة<sup>١٨</sup> رقدت في خزانة الجوز عدداً من السنين ، فوجدت إلى جانبها أشياءها الأثيرة : نظاراتها الطبية ، دفتر المذكرات ، أفلامها ، فساتينها ، وأحذيتها الساتانية . لم يكن يسمع صوت سوى صوت تنفسها الهادئ ، وفي الخارج وشيش خافت لندف ثلج لا زالت تتساقط .. وتتساقط .

سطوح البيوت بيضاء ، ورؤوس أشجار الصنوبر تبيض في الظلام ، الأرصفة وأعشاب الحدائق ، بياض في كل مكان ، إلا أن جو الخزانة كان دافئاً مثل أغنية عالقة منذ الأمس في الهواء نغماتها مألوفة إلى درجة ضج معها قلب المرأة بالدماء الساخنة . حين فتحت باب الخزانة ، لفحتها الظلمة ، وتدفت فجأة فأشعرتها بالقشعريرة ، بالتوجد ، وامتلأ هواء الخزانة بالظلمة ، وأدركت المرأة حين خرجت أنها تقف عارية تحت ندف الثلج المتساقط . لا شيء حولها سوى البياض إلى أبعد مدى . وحين رفعت عينها إلى السماء التصقت بشفتيها ندفة ثلج وذابت ، وأخرى وذابت . لم تر غير فضاء بلا نجوم ترف فيه ندف الثلج مثل طيور صغيرة بيضاء .

## أفكر<sup>١٩</sup> بالمرأة المجهولة

أفكر<sup>١٩</sup> بالمرأة المجهولة متخيلاً أنها سألت عني في الماضي والحاضر ، وتابعت طريقها مع السطور وهي تتلاحق باتجاه غابة أو قوس انتصار قديم ، أو نافورة في ساحة من ساحات إحدى العواصم .

## نهار<sup>٢٠</sup> محموم في دلفي

نهار<sup>٢٠</sup> محموم في معبد "دلفي" ، لم تبق سوى الريح بين أشجار الزيتون والبندق ، ذكرى عصافير تنتشر في غابة توت ، خيالات نيران الأضحيان ، العباءات الأرجوانية ، النبيذ ، أنهار الحضارة اليونانية في أعياد لا تحصى .

## الرمادُ يتساقطُ في ظهيرةٍ معتمة

الرمادُ يتساقطُ في ظهيرةٍ معتمةٍ مثل هذه على امتدادِ شاطئِ ناءٍ كان ذهبياً ذات يوم ، ثم برونزياً ، وفجأة تحول إلى حديدٍ وصدأ .  
أكوامُ حجارةٍ تعلوها الأعشاب وتغوص في وحلِ الشاطئ حتى حدودِ المياه ، فتتلاأ صورتها . مدينة وهمية سكانها الأسماك والقواقع وزرقة الليلكِ الطافي وهياكل السفن المنخورة .  
وفجأة تلوح سفينة أشباحٍ من أعلي فنارٍ مطفاً منذ مئات السنين ، وأنا أركض من مكانٍ إلى مكانٍ ولا أصل ، أتعثرُ ولا أصل ، عتمة في كل مكان .

## الطيورُ تغيّرُ أشكالها

الطيورُ تغيّرُ أشكالها، تنحدرُ إلى جوانبِ البحيراتِ ، تختفي بين الأشجارِ والصخورِ، تخرجُ من الأجماتِ نساءً ذهبيات يهبطن إلى الماءِ واحدةً بعد أخرى .

## أكتشفهُ في شوارعِ نيقوسيا

أكتشفهُ في شوارعِ نيقوسيا ذات صيفٍ ، وألخصهُ بهذا المشهدِ المتقاطعِ : يتعمدون بالماءِ ، ماءِ "الأردن" أو نبعِ "صافيتا" أو أي نبعٍ كان ، بحضورِ الأقاربِ والكاهنِ والأصدقاءِ وممثلِ الدولةِ والإشبينِ . في هذا الوقت بالذاتِ أراه يتناول صحيفة "الحياة" ، يتصفحها نصف

## الحديقة هي كل ما يذكر

الحديقة هي كل ما يذكر ، المقعد الطويل ، المقاعد المتناثرة الخالية أمام أحواض الشجيرات الصغيرة .  
في ذلك الصيف تخيل طائر الملون موجوداً . لا بد أنه في مكان ما من هذه الحديقة أو هذا البيت .  
كم هي قريبة من قلبه هذه المرأة . ود لو يركع قريباً من قدميها وهي عند أطراف الفجر ويرجوها أن تأخذه لبحثاً عن طائر الملون .  
طائر الحجري البعيد .

## السماء عالية

السماء عالية ، فضاء شاسع من البرتقال والتركواز ، وبيننا هذا الزمن .. مياه شفافة . بعيداً في القاع تحلق الطيور ، تتجرد النسوة وتبرد الظلال ، تنفتح النوافذ في الجدران ، تتغير أشكال البيوت والناس ، ترتفع المباني الإسمنتية بجوار البيوت الطينية ، تتصاعد نداءات الباعة ، وتختفي البساتين ، ويتحول الليل شيئاً فشيئاً إلى كهرومان .

تقول صاحبة الحانة : " لا شيء يبدأ أو ينتهي ، مشهد صامت يرتفع فيه غبار هذه الصحراء ما أرى ، أو ثلج يدوم في أقاصي الشمال البعيد . ليس لنا إلا أصوات الكلمات ألوان الأشجار ، والأغنية التي تتحول إلى حجر ، وهذا الحفيف الذي تصدره خطواتنا في ممرات الغابة . ليس لك إلا أن تتحول إلى ما تشتهي ، تستيقظ صباحاً فإذا أنت فراشة ، وتنعس ظهراً فإذا أنت سدرية تزحمها العصافير ، ومع الليل تكون قيثاراً مفلولة صمتها أخضر في فراش امرأة وحيدة . "

## اللوحُ أو ما تبقى منه

اللوحُ أو ما تبقى منه لم يكنْ إلاَّ شظايا ، ربما كان هكذا في الأصلِ ... من يدري؟ لا أحدٌ يهتدي إلى صورتهِ الأصليةِ إلاَّ تخيلاً ، فيمنحه الخيالُ آلافَ الصورِ المحتملة ، ويظل ترتيبُ الشظايا بحيث تكون نصاً ذا معنى أو نصفَ معنى محالاً .

هنا بخورٌ مرٌّ يتصاعدُ ، قواريرٌ طيبٍ وعطورٍ ، شفاهٌ ، كرمٌ أو بقايا كرمٍ ، عينان ، فخذاً امرأةٍ عاريةٍ ، هنا شجرةٌ أرزٍ ، قوائمٌ سريرٍ خشبيٍ ، وهناك يواقيتُ زرقاءٌ تحلّي يداً طويلة الأصابع ونهدين قاتميين .

النقوشُ نفسها ليست أصواتَ لغةٍ يكون فيها الماضي والحاضر والمستقبل ، ليست ألفاظاً تروي أخباراً ، إنها أوعيةٌ من طينٍ أحمر أو فخارٍ أو مرمَرٍ معرّقٍ نجدق في فراغها ، هذا الفراغ وحده الذي تحيط به وتمسكه ، الفراغُ الذي صنعت من أجله . وليست هذه هي الصعوبة الوحيدة ، فالنقوش رغم أنها محفورة بالأزاميل لا تماثل النقوشَ المسمارية ، ورغم أنها تعرض صوراً إلا إنها ليست هيروغليفية ، إنها أحداثٌ ممتعة بذاتها لا تكشف عن غير ذاتها ، لا تمنح فكرةً بل إحساساً قوياً بالوجود . إنها فنٌ صافٍ تعود فيه القصيدة إلى بياضها والوردة إلى عرائنها والمرأة إلى موجتها التي كانت عليها .

## النساءُ في خزاناتِ الجوزِ

النساءُ في خزاناتِ الجوزِ يرتجفن حناناً . الكتبُ والأوراقُ والنظاراتُ وقطعُ الدانتيل المرتبة بعناية . المناضدُ والمقاعدُ وزجاجُ النوافذِ الواسعة ، الحدائقُ والمقاهي المظلمةُ تحت الشمسِ النحيلةِ ،

طفلتان تجمعان أزهارَ الدانديون الغزيرةَ بين الأعشابِ ، تضفر كل واحدةٍ منهما إكليلاً ، تتبادلان الأكاليلَ ، تركضان متضاحكتين ، تختفیان بين الأشجارِ .  
ينحدر صوتُ البيانو، يتخلل أشجارَ الصنوبر والكستناءِ ، يمرُّ مع التماعاتِ الشمسِ المتواليةِ في ممراتِ الغابةِ ، يتغلغلُ ، ينداح مع اتساعِ نهرٍ وحيدٍ تحاذيه أجمةٌ قصبٍ حتى مصبهِ الأخيرِ في الظلامِ .

## ما أن تتطائرُ شغافيةُ الفجرِ

ما أن تتطائرُ شغافيةُ الفجرِ ويبدأ لغطُ الناسِ في أوائلِ النهارِ حتى أراكِ تتقدمين مثقلةً إلى الحافةِ ، حافةِ الضوءِ : ذلك اللاشيءِ الذي يتلبس كل شيءٍ فجأةً ، ويأخذ بالإمتدادِ من حافةِ الأريكةِ إلى أقصى الصالةِ ، إلى البوابةِ ، ويتوقف بدوره دون الحديقةِ ، دون البوكنفيليا المثقلةِ ، وشجيرةِ المندلينا ، ودون كل ما كان .

## النهارُ في أوله

النهارُ في أوله يشيع الحنانَ في الجوِّ ، أو يشيع شيئاً حاضراً وماثلاً ، معنى . يستيقظ "بافلوف" ، وهو مستيقظُ الآن بالتأكيد في شقته الصغيرة . ينهض عن سريره ليعد قهوته الصباحية ، وليتأكد أن خزانة الجوز لا تزال مغلقةً على أشياءها العزيزة . تلك الشيوعية العنيدة التي تركت له المجلات النسائية ، الكتب ، دفترَ اليوميات ، نظاراتها الطبية ، وهذه العاصفة الغامضة التي حطمت التماثيل وقوضت الصروح الرخامية ، وكسرت مصابيح الحدائق، ونثرت كافتريات الساندويشات والقهوة السريعة في كل مكان . إنهيار عصي على الفهمِ لصرحٍ بدا أنه ينتمي للأزل . لا يبدو "بافلوف" مترنحاً تحت هذا الثقل ، بل خفيفاً إلى درجة لا تصدق حتى هذه اللحظة التي بدأ يتخطى فيها أعوامه الثمانين صامتاً .

وبدا الآن وراء زجاج النافذة مثل شبحٍ طويلٍ يراقب النهار المنتشر بين أوراق أشجار الحديقة المواجهة ، وشعر النساء العائدات من السوق أو المكاتب الكابية ، وعلى وجوه التلاميذ الصغار العائدين من المدرسة وحقائبهم على ظهورهم وهم يتقافزون بين الأشجار المشمسة .

النهار في أوله حيث يمرّ النسيم على البوكنغفيليا المثقلة ، وبين أوراق المندليينا ، وعلى المقاعد البيضاء المتناثرة . لا زال النهار في أوله يحمل أشياءه إلى الحديقة الخالية . يتوقف عند السور باحثاً عن شيء يلمسه ، شيء يتعلق بالإنسان ، كوب شاي ، أو قدح ، أو طائر ملون من الفخار ما زال ملقياً كما كان بالأمس بين الأعشاب .

النهار في أوله يشيع الحنان والمعنى ، فيبدو اصطخابُ الموج على شاطئ "هاواي" نداءً للجسد .  
"ليندا" تستلقي في حالتها الذهبية تحت شمس خط الاستواء ، صحو ومطر، أو غيم ونهار في وقت واحد . تتساوى الأشياء ، وتبدو العواصم في الذاكرة قريبة من هذه الصخرة أو هذه الموجة ، وهذه السماء المفتوحة على القارات . صور العشاق يأخذها الموج بعيداً .  
"ليندا" تتذكر، تهتدي بالأمواج .

## انتشروا على المنحدرات

انتشروا على المنحدرات المطلة على الشواطئ مثل بحارةٍ أغرقوا سفينتهم ، وبدأوا بقطع الأشجار وإقامة المخيمات على شاطئٍ منعزلٍ ربما ينحدر إليه أطفال في مقبل الأيام ، أطفال متوحشون قادمون من مدنٍ خربةٍ ، من ثلاجاتٍ وناطحاتٍ سحبٍ ومنتجعاتٍ ويخوتٍ جانحةٍ تحولت إلى هياكلٍ تعبت في مياهها أسماكٌ صغيرة



بين الفينة والفينة كان يرتفع غناءً في هذه الخيمة أو تلك ، أو تصدر صرخاتٍ مرحةً بين أشجار الصنوبر، أو أصواتُ أقدام حافية تتراكم ضاحكةً تحت الظلال، أو تتناثر نغمات ماندولين متوحد .

### تساقط الثلج طوال الليل

تساقط الثلج طوال الليل في أمكنة عديدة . ربما يتساقط الآن على علية بيت في شارع "كاستريشي" ، حيث ترقد امرأة على ظهرها ويميل عليها رجل يغطيها بعباءته الأرجوانية ، يغطي شفيتها بشفتيه ، يحتضنها ، فيتحجران معاً لمئات السنين القادمة. قبله نهمة قاطعت الغبار الكوني الهائل الذي هبط على مدينة "بومبي" الرومانية قبل ألفي عام .

ربما يتساقط الآن على حديقة "يوسانو آكيكو" ذات الشعر الفوضوي ، فتتمتم وهي تأخذ نهدتها بيديها "ما جدوى الكلام عن الخلود الذي لا نراه ؟ الربيع قصير... قصير وعابر" .

ربما يتساقط الآن على شظايا ألواح حجرية في معبد "سافانا" الراقد في العتمة الأرضية ، حيث لا تزال امرأة إلهية مرتسمة على حافة شظية تحتضن عاشقاً متحجراً وحولهما أشجار الآس والياسمين .

ربما يتساقط الآن على بلاط الشارع المعتم أمام شقة "يانتشيف" الستيني بشعره الأبيض المسترسل وقامته الطويلة ، وراء زجاج نوافذه الوردي ، على أشجار الكستناء المبتلة ، على مظلات العابرين ومداخل البنايات المعتمة وحدائقها التي بدأت تتحول إلى بياض صامت .

ربما يتساقط الآن على خزانات الجوز الثمينة ، فترتجف أعضاء النساء لذةً ورغبةً ، ويواصلن أحلامهن البيئية : بتلات أزهار حمراء تتساقط في ليلٍ طويل .

### حين تقف وراء زجاج الشرفة العالية

حين تقف وراء زجاج الشرفة العالية ، وتتطلع إلى الأشجار وسطوح البيوت المنخفضة ، والمباني العالية ، لا ترى إلا الأبيض

هذا النثرُ الأبيضُ المتساقطُ الخفيفُ يبدو نائياً . الغرفةُ دافئةٌ بفضلِ نظامِ التدفئةِ المركزيةِ ، بقيةً من حسناتِ النظامِ القديمِ ، نظامِ التماثيلِ المنكفئةِ في الحدائقِ ، والمجمعاتِ السكنيةِ الشبيهةِ بخلايا نحلٍ عملاقةٍ ، نظامِ خزاناتِ خشبِ الجوزِ الكاملةِ حيثِ يحتفظُ البافلوفيون بنسائهم ، بكلِ ما تبقى : الأقلامِ والأوراقِ وفساتينِ الزهاتِ والقبعاتِ الشاحبةِ ، بحرصِ ودقةٍ متناهيين يصلان حدِ تقديسِ الغبارِ ، نظامِ الموظفين العجائزِ اللواتي لا زلن يحتفظن بصرامةِ النظرةِ المتشككةِ والحذرةِ ، والشاباتِ الضاحكاتِ مثلِ نهارٍ يحلم بصديقٍ وزجاجةٍ "راكية" وغرفةٍ دافئةٍ تطلُّ على شوارعٍ مقفرةٍ .

### تقاطع نصي أصواتُ بيانو

تقاطع نصي أصواتُ بيانو، ظلالٌ تقاطع تحت أزهارِ البوكنفيليا ، سفينةُ أشباحٍ .  
تقول صاحبة الحانة :  
- سافاثا هذه ولدتُ في خيالكَ أيها الآرامي التائه ، ستمائة عامٍ أو أكثر ، أنتَ لا تعرف حتى أين تكون .  
- ربما هي أمامي من دون أن أدري .. ربما هي في أقصى ماضيكَ ، أو ماضي الكونِ ، نوعاً من "بومبي" رومانية وصل صراخُ شهواتها إلى السماءِ ، فقررتُ أن تطمسها بأكوامِ هائلةٍ من الرمالِ .  
وتحتجُ الكاهنةُ التي لم تعد تَر شيئاً في غمراتِ الوجوهِ والأمكنةِ ، ويرتج عليها . مطرٌ وساحاتٌ وأنداءٌ وحفيف أجسادٍ، إصطفاقُ مياهٍ على جوانبِ مرسى ، وزوارقُ خاليةٌ ، أمسياتٌ ، غاباتٌ ، وأخيراً هذه المرأةُ تحت مسقطِ ضوءٍ تغلب بين يديها ساهمةٌ طائراً حجرياً منذ آلاف الأعوامِ .  
- يتعدّد هذا النصُّ ، يتشظى . ليلٌ كستنائي ، ليلٌ فاحم ، ليلٌ برتقالي ، ليلٌ ساطع . لا أعرف ما أراه حقاً . قلبي ما الذي ترين؟  
- أرى متوحداً يقترب من المتاهةِ ، من الحجرِ الذي سيكون .

## تغوص أقدامهما في الثلج

تغوص أقدامهما في الثلج ، ويغوص هو في إحساسه بمتعة البرد العميق ، وخفة ندف الثلج المتساقط ، ومشهد التماثيل الجرانيتية السوداء اللامعة . بعضها لا يزال على قواعده ، وبعضها قلبوه ، فغاص نصفه الجانبي في الثلج الأبيض ، أو غاص وجهه وصدره ، وبدأ الثلج يطمر ظهره اللامع .  
يلتفت إلى ممرات الحديقة الخالية .شخصاً تترأى من بعيد ، امرأة تتباطأ في سيرها مع طفلين بحجم دميتين تتحركان . أنوف حمراء ومعاطف تصل حتى الكعبين .  
لا أحد يرغب بالحدائق المعتمة الآن ، الحدائق الباردة تحت سماء من ضباب . المسافة إلى كل شيء معتمة وسوداء لولا هذا البياض الهادئ في تساقطه .

## ذات مساءٍ ستهمس هذه الأزهار

ذات مساءٍ ستهمس هذه الأزهار في الوحشة ، تنبّه إلى حدود الفجر ، إلى الإمتلاء الذي كان ، قلب الأشياء والحديث والشفاه ونعاس أوائل النهار . نبعطف مئات المرات ضائعين في أراضٍ ينتشر فيها النوار ، وتتساقط نغمات بيانو في عتمة خفيفة . هناك في السماء حيث تنحدر الغيوم في الظلال . حيث تركت طائري الحجري الصغير الملون .

## جيفارا يحول العالم إلى غابة

"جيفارا" يحول العالم إلى غابةٍ ممكنة . متاهةٍ يختبئ فيها البري والبدائي إلى أن تنهراً المدينة ، فيخرج من الغابة بأسماله وجيشه القليل الملتحي ليسحق بقايا الجيش المتحلل . ويتذكر "جورج" بشغف كيف كانت السيمفونية التاسعة لبيتهوفن ترافق أحد قادة المقاومة السرية الفرنسية في قبوٍ تحت الأرض.. "حين تلطخت

يروى الحادثةَ بشهيةٍ عجيبةٍ ، ويفكرُ ربما مبتهجاً بذلك الموتِ الذي سيصادفه فوق قمةٍ جبليةٍ يغطيها بياضُ الثلجِ في منتصفِ ليلٍ ما ، إلى أن يغيبَ تحت النثارِ الأبيض .

## زجاجةُ النبيذِ المائلةُ في سلّةِ القشِ

زجاجةُ النبيذِ المائلةُ في سلّةِ القشِ ملقاةٌ على رملِ الشاطئِ بيننا ، و"ليندا" تغني هامسةً ووجهها إلى البحرِ قصيدةً "هياواثا" ، آخرُ الهنودِ ، وربما آخرُ البراري والغاباتِ ، وربما آخرُ الأيامِ الستة ، قبل رحيلها بساعات .

أهتدي إليها بالأمواجِ وذهبَ الشمسِ الغاربةِ والإيقاعِ الهاميسِ ، أهتدي إليها بالخواتمِ الخزفيةِ الزرقاءِ والحمراءِ التي أثقلتُ بها أصابعها ، وعقودِ الخرزِ الملونِ التي أثقلتُ بها جيدها أمامِ الفجيرةِ السمراءِ المتربعةِ على الأرضِ مع عقودها في ساحةِ "بياتسا نافونا"

– هكذا كانوا يؤلّون المعبوداتِ ، بالأحجارِ الملونةِ ولهبِ المشاعلِ والعري في أعماقِ المعابدِ المقدسةِ  
تبتهج وتضحك وتضحك

– ستظل طفلا يا صغيري... تعال نقرأ طالعنا  
– قرأته قبل آلاف السنوات ... ألا تعرفين أنني كنتُ كاهناً في "سافانا" ، ورأيتُ عرباتِ الغزاةِ تحملكِ بعيداً حين كانت أحجارِ المعبدِ تنتحب واللهبِ يحيط بكل شيءٍ ؟  
– أنا..

– لا تقولي شيئاً ، كنتُ كاهنكِ الوحيدِ ، وها أنا أعيدكِ إلى متاهتي ، ها أنتِ تنبعثين بين الخرائبِ ، حيث تنبعث الأميراتُ والأعشابُ وتتنهد الريحُ

– خيالي .. خيالي دائماً.. دع هذه الفجيرة تقرأ طالعنا  
– على شواطئِ مهجورةٍ تتساقط أزهارٌ كثيرةٌ ، عاشقٌ متوحدٌ في سفينةِ أشباحٍ ، عرفاتٌ يمجن اسمه عن صخرةٍ ، فتضيع روحه ولا تهتدي ، أنتِ ، أنتِ أميرةٌ منفيةٌ في معبدِ "دودونا" أو طرقاتِ "بومبي" أو "هركليوم" المطمورة على ساحلِ البحرِ.

## روما القديمة

روما القديمة ، أرضية الحمامات المتآكلة ، أشجار الزيتون والبنديق ، جدران الغرف الموحشة ، قوس النصر العالق على بضعة أحجار علي الجانبين ، طرقات وهمية في متاهة الركام المتناثر ، أعمدة خضرتها الطحالب ، زوايا تتردد فيها الريح ، الريح نفسها ربما ، أو الأنفاس نفسها... من يدري ؟

## في الشعر وحده تعود الأرواح

في الشعر وحده تعود الأرواح إلى حقولها المنسية ، يولد حجر الروح مائياً وشفافاً ، تولد مرساة الروح . هكذا بدأ كل شيء في هذه الغابة الحجرية ، من رافعة نهدين حمراء بلون العقيق وظهر عارٍ وشعرٍ ذهبي وفخدين موجتين ، من ظلال خضراء متناثرة وشمس غاربة ، ونسمات تتردد بين الفينة والأخرى ، من أميرة عارية على فراش مرتجل وضعناه على عجل في الصالة أوقدنا إلى جانبه شمعة ضخمة لا تذكر بشموع القديسين ، بل بمشاعل خافقة على امتداد شارع اللذائذ في "بومبي" ، أو في زوايا حانة إسكندرانية على البحر ، أو في طريق ملكي في "سافانا" كلما أحاط بها الليل .

## سماء من التركواز

سماء من التركواز ، أشجار كينا تمتد عميقاً في مياه البحيرة ، وعول تتشمم الهواء ، تنحني على الماء فيصدر لمعات متوهجة ، وهج في كل مكان ، ظهيرة ملتمة ، وأنا أركض من مكان إلى مكان ولا أصل ، أتعثر ولا أصل ، وهج في كل مكان ، فتقهقه وهي تنحني وتأخذ بيدي ، أنفض متباطئاً ، أتلفت حولي حيث كانت الوعول والمياه والأشجار.

– لغتك الإنجليزية أزهرت ° فجأةً ، لغةً جميلةً ، شيءٌ غريبٌ ، طعمٌ غريبٌ تولجه في اللغة  
– ربما بفضلك

– هل تسمح إن أصلحتُ أخطاءك ؟  
أخطائي كثيرةٌ ، لم تكن اللغةُ أحدها ، ولا النغورُ من هذه الخمرة القوية ، ولا هذه البريةُ الشاسعةُ التي تسمينها وهما، أخطائي ربما هي أنني غادرتُ الغابةَ متوجسًا منذ زمنٍ طويلٍ ولم أعد أعرف كيف أعود .

### سرُّ شجيراتِ الفلِّ القصيرة

سرُّ شجيراتِ الفلِّ القصيرةِ يجتذبه . فهذه الشجيراتُ تُظلُّ براعمها مغلقةً ، خضراءَ ، وفجأةً حين يصحو صباحًا يجدها تنفجر بالبياضِ ، والأريجِ المميز يملأ الهواء .

في الفجرِ أحيانًا يسيرُ جيئةً وذهابًا بمحاذاةِ شجيراتِ الفلِّ تحت النافذتين منتظرًا لحظةَ هذا الانفجارِ ، إلى أن يصيبه النعاسُ ، ولا تخرج البراعمُ الخضراءُ من صمتها ، فيأوي إلى فراشه متخيلاً أن الشجيراتِ لا تنفجر بياضها إلا في الوحدةِ ، تنفتحُ بهدوءٍ مستمتعةٌ بوحدها اللامعةِ في وحشةِ الحديقةِ .

### طليطلةٌ تنحدرُ ليلًا

"طليطلةٌ" تنحدرُ ليلًا إلى الوادي العميقِ ، تتحولُ البيوتُ والحاناتُ والأزقةُ والساحاتُ إلى عناقيدٍ من النجومِ غارقةٍ في سوادٍ مبهمٍ ، وما أن يصل المسافرُ إلى القمةِ حتى يتلامح جسرُها الحجريُّ القديمُ ، بياضُ باهتٍ فوق هاويةٍ غارقةٍ في العمقِ النائي ، حجارةٌ بيضاءٌ غضنها الغبارُ وسقوطُ أمطارٍ في أزمنةٍ لا يذكرها أحد . الجسرُ نفسه تحولُ إلى جسرٍ مصغرةٍ مصفوفةٍ في محل العادياتِ ، لها شكلٌ أوعيةٍ لرمادِ السجائرِ تدافعتُ على قوائمها من الجهاتِ الأربعِ شخوصٌ لملوكٍ ومحاربينٍ وملكاتٍ وأطفالٍ وفلاحينٍ ؛ تماثلُ أصفر يميلُ إلى لونِ الترابِ .

## شارع خريستو بوتيف

شارع "خريستو بوتيف". صفوفُ أشجارِ حورٍ سامقةٍ وعاريةٍ على امتدادِ الجانبين . البناياتُ ثقيلةٌ . مداخلها مسودةٌ كأنما من آثارِ حريقٍ قديم . لا أثرَ إلا لأشباحِ "كافكا" المترددين على محاكم تنظرُ في اتهاماتٍ لا يعرفون ما هي ، والمنتظرين لدى بوابةِ القصرِ منذ عصورٍ لا يعرفون عددها .

من المؤكد أن "كافكا" كان واقعيًا حتى الجنونِ ، حتى تلك اللحظة التي يعرف فيها الكاتبُ كل شيءٍ : البداية والنهاية ، فيقف مذهولاً أمام الصمتِ الكوني الأخيرِ ، أمام ذكرى الإنسان، من دون أن يتعثرَ بالسلاحفِ وعمالِ السكك الحديدية ورجالِ المخابراتِ ومديري مراكز الأبحاثِ المطمئنين وقادةِ الأحزابِ، ونباتِ الظل الذي ينهي قصائده دائماً بأنخابِ النصرِ.

هذه هي المرةُ الأولى التي يكتشفُ فيها أن المدنَ يمكن أن تُبنى، أن تتسعَ ساحاتها لآلافِ المتظاهرين والراياتِ ، أن تترددَ فيها أصداً الخطابات الحماسية ، ثم لا يخلف ذلك غيرَ البردِ والسكونِ ، والقليلِ من المحتفلين بالذكرى ، والريحِ التي لاتزال تعصفُ أو تهدأ منذ أن استمعَ إليها إنسان الكهفِ ، فإنسان القريةِ ، فإنسان المدينةِ ، وأخيراً إنسان الإمبراطورياتِ والقراصنة . كل شيءٍ يبیدُ إلا الريحُ ، الريحُ نفسها التي عصفت بمدنِ الماضي ، ستعصفُ أيضاً بمدنِ الحاضرِ، وتتخطاها في رحيلها اللانهائي .

## على رصيفِ الميناءِ يتجول غرباء

على رصيفِ الميناءِ يتجول غرباءٌ فقدوا سفائنهم ، ومنحهم القلقُ والشروءَ مظهرَ نوارسٍ أثقلها الليلُ ، فلم تعد تستطيع التحليقَ أو الصياحَ في حضرةِ البحرِ القاتمِ ، البحرِ الذي ينأم الآن بلا فجرٍ قريب . وفي الأزقةِ الداخليةِ ، حيث يتكاثف شجرُ الكافورِ ويملاً الحدائقِ البيئية الصغيرةِ ، ويسمع خلف العتمةِ رنينَ الأقداحِ وموسيقى عازفين لامرئيين ، تتحدثُ أشباحٌ عن مدائن بحرية لا يراها إلا الغرقى والقواقعُ والأسماكُ ، وعن نساءٍ هيباتٍ جئن من

## على حافةِ أمتارٍ من العشب

علي حافةِ أمتارٍ من العشبِ ثلاثةُ أنواعٍ من الأشجارِ : التينُ والرمانُ والليمونُ ، ترافقه حتى بوابةِ السورِ صباحاً حين تكون الشمسُ في وجهه ، وتعودُ معه مساءً مائلةً في الريحِ حين يعود . تظهرُ بضعةُ أزهارٍ بيضاء ، وتتساقطُ بلا سببٍ ، فلا تظلُ لشجرةِ الليمونِ إلا أوراقها الخضراء . يفكرُ بعمرِ إنسانٍ ما تتساقطُ أزهاره قبل أن يعرفَ أيةَ ثمارٍ غامضةٍ حلمتُ بها . الريحُ تعصفُ فجأةً بين أونةٍ وأخرى من دون سببٍ واضحٍ ، فتتنفسُ الأشجارُ الثلاثُ غربتها في وحشةِ الليل .

## في العتمةِ المائلةِ أكتبُ مشهداً

في العتمةِ المائلةِ أكتبُ مشهداً مضاءً : نافورةٌ تريفِي ، بركةٌ ينصبُّ فيها الرذاذُ وتنعكسُ صورُ الجالسينِ والواقفينِ عند الحوافِ العاليةِ . ينتشرُ كثيرونُ كأنما الخلقُ في حالةِ نشورٍ ، ساهمونُ وضائعونُ وصامتونُ وضاحكونُ أمامَ المياهِ المتدفقةِ على التماثيلِ ، عيونُ قاتمةٌ ، أعضاءٌ لامعةٌ تحت رشاشِ المطرِ . الوقتُ مساءً ، روما في الساحاتِ على الدرجاتِ الأسبانيةِ ، ورسامو الكاريكاتورا غادروا الساحةَ منذ زمنٍ طويلٍ . مطاعمُ هادئةٌ . نبذُ رخيصٌ ، وغرفُ تخلعُ فيها الهيباتِ الآن القمصانَ الخفيفةَ . ساحةٌ سان بيترو مقفرةٌ ، يطلُ عليها من الإفريزِ الدائريِ العاليِ



## لأحد يعرفها ولن يعرفها

لا أحد يعرفها ولن يعرفها خارج الكلمات ، الكلمات التي ستُكتب ، فقد رحلت منذ سنواتٍ من دون أن أشعر. بكت فجأة ذات ليلة وهي على طرف السرير ووجهها بين يديها، ذبلت فجأة كأنما توقف سقوط المطر، وسكنت أوراق الشجر، يدهشني بكاؤها بعد أن قضينا الليل معا، وتهمس "أنا يائسة جدا.."

لن يعرف أحد هذه اللحظة ، ولن تعرف هي شيئا عن هذه الغابة، وعن رغبة قوس قزح في أن يتحول إلى حجر. لا الأزمنة تلتقي ولا الأمكنة ، ربما الزمن هو ما يلتقنا في شبكته مثل أشباح ، ربما البوكنفيليا الأرجوانية الفاتحة وحدها أشد خلوداً من خطواتنا ، من أحلامنا وهي تصدر حفيفاً كالريح بين الأوراق اليابسة.

## في العتمة الواضحة

في العتمة الواضحة ، العتمة التي لا نعرف هل كانت في الأصل أم هبطت على النقش بسبب آلاف الليالي التي مرت على المشهد ، نلمح طرفاً حلمياً في الصورة كلها ، حلماً يهيمن على الكائنات . من الذي كان يحلم بالآخر ؟ . هل المرأة حلم الرجل أم أن الرجل حلم المرأة ؟ أم أن الحديقة ، أو ما يبدو كذلك ، حلم مشترك على حافة الفجر قبل أن تبرز الكائنات ؟ .

في روايات "سافانا" المتداولة شفاهةً أن عاشقاً آرامياً حاول في أحد أحلامه معانقة المرأة المحبوبة ، عرافة المعبد الممثلة التي لم يكن يبصر منها سوى هالة الشعر الأسود وهي تجلس بثوبها الأخضر الطويل وسط دخان المجامر، ولم يكن يسمع منها سوى وسوسة الحلبي حين تغادر إلى غرفتها المطلقة على البحر في أواخر الليل ، ولم يكن يشم منها إلا رائحة المر واللبان حين تنهيا للاستحمام في حوضها المرمري الأزرق ، وفي الصباح صحا من حلمه ليجد أنه تحول إلى حجر.

وفي رواية أخرى أن عرافاً تنبأ له منذ الطفولة ، أن تقيّد روحه تميمة وضعتها امرأة في ثنايا شعرها الأسود الطويل ، وأنه سيظل تائها إلى أن يجد المرأة ، في فرجة بين أشجار غابة، أو في أعماق

وفي روايةٍ أخرى ، أن العرافةَ ، وهي ترقدُ عاريةً في سريرها أو حديقتها المحاطةَ بالمشاعلِ الخافتةِ ، راودها حلمُ العاشقِ عن نفسها ، فتقلبت في سريرها منتشيةً قبل أن تنتبه إلى صوتِ البحرِ وهبوبِ يشبه هبوبَ الجسدِ ، فتفزغُ إلى نفسها ، وتنكمش وهي تشعر بجسدٍ يطوقها ، وشفتين تلمسان شفتيها ، وتطلق لعنتها على هذا المجهول الذي لم تكن تسمعُ منه سوى ما نسمعه من أمواج البحرِ وعزيفِ أوراقِ الشجرِ ، فتبعده بيديها مرتجفةً بين الحلمِ واليقظة .

أعودُ إلى الشظايا ، وأتخيلُ صورةً للوحٍ أصليةً ، أو حكايةً : هذه هي حديقةُ التحولاتِ ، حيث يعترش الأسُ والياسمينُ ، ويتناثر زهرُ الرمانِ في ضبابِ الفجرِ الخفيفِ ، ويتفرق صوتُ النبعِ ، وتسكن الأيائلُ صاغيةً ، وتتمايلُ الأعشابُ ، وتملكُ الجسدين ذاكرةً نجمٍ وارتعاشةً نهرٍ يندفقُ ، وحفيفِ أوراقٍ تتساقطُ في وقتٍ واحدٍ معا . هذه هي حديقةُ الشهوةِ ، حيث يهرعُ "أسافُ" و "نائلةُ" أحدهما إلى الآخر فيتحولان إلى تمثالينِ حجريين ، تحولهُ يسبقُ تحولها لأن لمستها تسبقُ لمستته ، ويتحجر ما أن يعرفها وتتحجر ما أن تعرفه ، وتنقلهما قافلةٌ عابرةٌ إلى واجهةٍ معبدٍ مقدسٍ في وادٍ حفرته سيولٌ قديمةٌ ، حيث تقدم لهما القِيائلُ الهمجية ذبائحها ونذورها . هذه هي حديقةُ العاشقِ الذي يتحول إلى حجرٍ حين يغلبه الألمُ ، والحجرِ الذي يتحول إلى عاشقٍ حين تغلبه البهجةُ .

الطيورُ ربما كانتُ نساءً في الماضي ، وكذلك الأشجارُ والندى ، هكذا تقول رواياتُ "سافاثا" ، فنجد كاهنةً تحاول أن تستيقظ ذات صباحٍ وتنظر إلى جسدها فتتحول إلى سدرةٍ تزحمها العصافيرُ ، ونجد امرأةً أجنبية تحاول التقاطَ شعاعٍ هاربٍ على المرتفعاتِ ، فتتحول إلى شجرةٍ بوكنفيليا مثقلةٍ بأزهارها الحمراء ، ونجد صاحبةَ حانةٍ ساخرةً تحاول الاهتداءَ بالموج ، فتتحول إلى معبدٍ لذائذٍ في مدينةٍ

الطيورُ ربما كانت نساءً في الماضي ، لهذا تكثر صورُ الطيورِ في كل مكانٍ علي شظايا اللوحِ الآرامي ، تحت الماءِ وفوق الترابِ وبين الغيومِ والأشجارِ ، حتى فوق المرأةِ الإلهيةِ والعرافِ المرتجفِ ، وهو ما انتبهت إليه أخيراً . هنالك طيور بيضاء تحلق عالياً تجعلني أفكر بالابتسامةِ المطمئنةِ علي شفطي المرأةِ المضاءةِ بنورِ قاتم .

## لليلةِ صوتٌ وشوشةٌ

لليلةِ صوتٌ وشوشةٌ وتمتماتٌ متقطعةٌ تتباعدُ كما تتباعدُ الأشياءُ وتنفصلُ ، البيوتُ والساحاتُ وطيورُ السنونو السوداء ، وعناقيدُ النجومِ ، وحمامٌ ساحةٍ "سان ماركو" ، وهذا الفراغ الذي يرفُ حيثُ كنا أمامِ العجربةِ ، وأمامِ حدائقِ الحمراء ، وهذه النسماتُ الرخيةُ المحملةُ بالبرودةِ في صيفِ الحجارةِ الرومانيةِ ، وزوايا البارِ القليلِ الرواد ؛ دخانٌ ، رائحةٌ نبيذٍ ، وعرقٌ ، امرأةٌ واسعةُ العينين يهتز نهداها كلما قدمتُ كأساً أو ضحكتُ وهي تصغي إلي عجوزٍ منحني على كأسه يسامرُ أشياءً .

لليلةِ وشوشةٌ وظلالٌ تتتابعُ وراءَ نافذةِ القطارِ الموجل عميقاً بين منحدراتٍ وسهولٍ تغادرها أشعةُ الشمسِ شيئاً فشيئاً ، تاركةً لنا الظلالَ وحدها ، وهذه التلالُ التي تجمعُ أعضائها من الأشجارِ والجداولِ والصخورِ وتهجعُ في الهزيعِ الأخيرِ من الليل .

## لازال الثلجُ عارياً

لا زال الثلجُ عارياً ، إلا أنه مغمورٌ ببياضِ الموسيقى ، باهتزازاتِ الصوتِ الآتي مدوماً وشاملاً ومبتهجاً ، كما لو أن ثلجَ الأبديةِ نفسه بدأ يباشرُ تساقطه في الهزيعِ الأخيرِ من الليلِ ، كما لو أن جبلَ "فيتوشا" نفسه يختفي تحت البياضِ ويتحول إلى أجمةٍ حيةٍ

## ما أخلو منه تماماً

ما أخلو منه تماماً هو أن أجعل "جين" أقلّ بأساً ، و"ليندا" أقلّ نأياً. وأنتِ أشدّ جسديةً من هذا الإحساسِ الصوفي الذي أتموج في نارهِ الساكنة. ما أخلو منه تماماً هو البكاء العلني الذي ينشج في الداخلِ مثل حديقةٍ بريئة . كلُّ شيء يقاطعني . يتدخل ، يقتحم النص ، أتياً من كل الجهات ، فأمنحه رقة الرذاذ ، حالماً بحقولِ نوارِ شاسعةٍ ، تتراءى وراءها ، أترأى ، ولا نجرؤ أن يهرع أحدنا إلى الآخر.

– تلك هي المعبودة مرة أخرى  
تعلق الإيطالية وتخفي عبوسها للحظات  
لا زالت الريح تتردد بين الخمائيل المهجورة والأنصاب الحجرية .

## ناحي يرقد في مقبرة بريطانية

"ناحي" يرقد في مقبرة بريطانية بعيدة تحت عمقٍ ثلاثة أمتار. وضعوا شاهداً رخامياً أم لم يضعوا ، الأساسي أنه ضاع إلى الأبد ، رغم أننا نقول أن الأشجار تتمايل مشدبةً فوقه ، فوق الأرض التي نحب ، هناك على جوانبِ طرقاتِ مرصوفةٍ تحف بها الأزهار ، وتخرق شواهد القبور الحجرية مثل متاهة خضراء .  
"غالب" تحول إلى سديم . لم أتخيل يوماً أنه سيتحول إلى سديمٍ بهذه السرعة لشدة براءته وبساطته ووضوحه . مشهده كعملاقٍ يتجول في ساحة بيته الدمشقي الخالي يوحى بأنه سيظل كذلك دائماً. لم يعد موجوداً الآن في أي مكانٍ حتى تحت الأرض حيث لا يحتمل الغموض ولا تطبيق العتمة ولا يفهم التراب كل هذه البراءة .  
أيمكن أن يذوب كلُّ هذا في العتمة والوحشة؟ لا شك أن لنا أمكنةً أخرى نمضي إليها بعيداً عن الجسد الملقى على سريرٍ مستشفى . لا شك أنه تحول إلى كائنٍ خفي .

## مع مرور أصابعها على مفاتيح البيانو

مع مرور أصابعها علي مفاتيح البيانو تتدفق موجة سريعة شبيهة بمرور نسيم يتموج علي مياه صافية زرقاء . ضربة أولى ، افتتاحية تأخذ بالظهور مثل أول صباح أو صحو جميل . صوت الموسيقى أشد حناناً من الليل ، من أوائل النهار . همسات البوكنفيليا في وحشتها الأبدية ، ظل ونور يتضاعفان ، دوائر متوالية من المركز ، من ضوء نحيل ينسكب على الأصابع وحدها ، هالة الشعر غمامة تمتزج بالمساء خارج النافذة وبريق أشعة الشمس الغارية ، دقة ، دقتان ، ثلاث .. تنداح الدوائر حولها ، تهب الرياح ، موج يقاطع صوت قطرات تمضي بعيداً بالحاح ، تواصل الغياب في مياه بحيرة لامرئية . الطائر الفخاري الملون فوق غطاء البيانو الأسود ، ألوانه تتغير ، تشف ، تتطير ، تنداح بدورها أشربة ملونة . لا زالت السيدة في حديقتهما قلبه متسائلة ، تنهض وتضعه جانبا ، تنساه ، لا زالت الأيائل تصغي بانتباه من مكمنها في الغابة إلى حفيف الجسدين وصفاء النبع والزمن الذي طرق وامتد مثل رقاقة ذهبية ، والدوائر الآتية من بعيد ، دوائر أصوات البيانو الآتية من كل الجهات .

### نبع تريفي لا ينهمر وحيداً

نبع "تريفي" لا ينهمر وحيداً على أجساد التماثيل المرمية العارية المعتمدة ، لا يسيل وحيداً على أعضائها اللامعة منحدرأ إلى البركة ، إلى الظلال ، نبع "تريفي" يحيط به النسيم موجة إثر موجة ، يغير إيقاعه ، يبدأ بالتساقط أيضاً ، تتمهل الأمنيات أكثر ، توازن تتماتها مع كل قطرة صوت ، وكل هبة رياح على مفاتيح البيانو .

### يتوقف العابر في طريق ترابي

يتوقف العابر في طريق ترابي ضيق تضيء الشمس نصفه ، جدران بيوت عالية بلا نوافذ ، الباب الخشبي ، ثم الدهليز ، فالغناء المظلل بالنخيل والسدر ورطوبة المياه . لا يبدو أن أحداً ظل في هذه الظهيرة غير عصافير الدوري ، وأنية فخارية ملقاة حتى الفجر ، لا أحد في الظل أو في النوافذ المطلة على الغناء ، لا أحد على السطح حيث تسطع الشمس وتتوهج ، البيوت المجاورة سطوح خالية ، والفضاء البعيد بياض ونخيل نحيل ، ضربات فرشاة باهتة في أقصى النهار .

## تستيقظ الكساندرا صباحاً

تستيقظ الكساندرا صباحاً ، فالوقت مبكرٌ هنا ، لأن الشمس تصل سريعاً ، وتدفيء باحة البيت الداخلية ، وتتسلل الأشعة النحيلة إلى زوايا الغرفة ، فتلمس هنا مقعداً لازالت فوقه قطعة قماش بدأت تظهر على أطرافها أغصان خضراء ، وتلمس هناك إناءً وزجاجة نصف ممتلئة ، وأكواباً ، وعلى الأرض تنبسط فوق ألعاب أطفال ملقاة بإهمال . لم يستيقظ أحد بعد ، فما زال النهار شاسعاً ... أهو كذلك حقاً ؟ سكون يقطعه صياح الديكة ، وصوت ارتطام أقدام بحصى الطريق . هناك من يمضي في هذا الوقت المبكر ويدور ، ولكن حواف الجبل شديدة الانحدار ، لذا لن يمضي أحد بعيداً . ربما يصعدون إلى السماء لفترة قصيرة ، وإلا أين يمكن أن يذهب الإنسان في هذه المتاهة الصغيرة من البيوت الحجرية التي تضيء نصفها الآن شمس نهار آخر ؟ .

الغرفة العلوية ساكنة وباردة تحلم بزوارٍ غامضين ، مثلها مثل الكساندرا التي تتخيل عشرات الوجوه المقبلة ، وعشرات اللغات التي تتردد أصواتها في فضاء البيت ، وعشرات الأيدي التي تتداول مشغولاتها الفضية والشالات المذهبة . سيكون معهم أطفال ، حسناً ، هذه ألعاب تنتشر في الباحة ، وستكون معهم نساء ويكون رجال ... من يكونون ؟ لا يهم من يكون القادم الجديد ، إنه يشعر الكساندرا بالثراء والرسوخ والندى ، لذا لن ترفع عينيها عن النسيج الذي تطرزه ، لن تكلف نفسها مشقة سؤال كل زائرٍ غامضٍ عن بلده ، ستتولى هذا جارتها أو زوجها الممراح ، وستستمع بصمت وهي تشعر بالأنظار تحيط بأصابعها . من هو المنسي بالنسبة للآخر ؟ هذه القروية الأثينية المنزوية فوق قمة الجبل أم هؤلاء القادمين من أماكن بعيدة لاتستطيع تخيلها ؟ . إنهم يذهبون على أية حال ، ويذهب معهم الضحيج الذي أثاروه ، وللحظات تتشوق الروح إلى الرحيل ، إلى مرافقة هؤلاء الغرباء إلى أماكن أخرى ، إلى عوالم أخرى ، بعيداً عن مناخ البحر ، عن رائحة الأعشاب الجبلية والصباحات المتشابهة ، بعيداً عن هذه المنحدرات الجبلية ، ولكنها لحظات ربما ... وبعدها يستيقظ كل الناس كأنما استيقظ الكون كله .